جوانب تطبيقية لتعليم علم النحو
مع الارتباط بتفسير القرآن وكتب التراث (للمتخصصين)

دكتور/ أحمد بن عبد اللطيف بن عبد الله العرفج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾:﴿إنا أنزناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾[١]، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد أفصح من نطق بالضاد، الذي ﴿ما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾[٢] وبعد.

إن مما يدخل السرور على قلب كل مسلم وجودَ هذا الحب للغة العربية ووجود الغيرة عليها في قلوب المخلصين عربا وعجما، وإن هذه المؤتمرات لدليل على ذلك، إن خلصت النيات، فتتوج هذه الأعمال بالنفع والقبل بإذن الله تعالى، ولعل هذه المؤتمرات تكون لبنة في عزة هذه اللغة التي يمارس عليها حرب من جميع الجهات بل من الداخل والخارج؛ لأنها لغة الإسلام ولغة القرآن الكريم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وقال الشاعر[٣]:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود[٤]

ولكل بيئة وكل عصر مشكلاته في تعلم هذا العلم وكل علم، ولذا نجد العلماء صنفوا كتبهم على أشكال متعددة تناسب عصورهم وبيئاتهم وثقافاتهم، وكذلك عصرنا له مشكلاته، فينبغي علينا نؤلف ما يناسب علاج هذه المشكلات.

وبحكم مهنتي مدرسا للنحو في الجامعة وجدت ضعف الطلاب شيئا فشيئا في هذا العلم وعدم حبّهم لتعلمه، فبخبرتي البسيطة وجدت أن أفضل طريقة لإرجاع حب تعلم علم النحو ومعرفة أهميته وتثبيت المعلومات النحوية هي الإكثار من الإعراب

---

[١] سورة يوسف آية (٢).

[٢] سورة النجم آية (٣-٤).

[٣] هو أبو تمام حبيب بن أوس.

[٤] ديوان أبي تمام ٣٨٨/١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٨٦/١.

المرتبط بالأصل الأصيل لهذا العلم وعلوم اللغة كلها، الارتباط بالقرآن الكريم بجميع جوانبه : ارتباط يربط بين الإعراب والمعاني، ارتباط يربط بين الإعراب والأحكام الفقهية، ارتباط يربط بين الإعراب والقصص ...الخ.

لذا أحببت أن أركز في هذا البحث المتواضع على أهمية هذا العمل وكثرة نفعه للمبتدئين والمتخصصين.

ويهدف هذا البحث إلى:

١- الاطلاع والارتباط بتراثنا الأصيل الذي ابتعدنا عنه وفيه منابع كل خير.

٢- الدربة العقلية للتفكير في أوجه الإعرابات الممكنة .

٣- معرفة ما للإعراب من تأثير على الأحكام الفقهية والمعاني المتعددة، وكذا العكس.

٤- الاطلاع على كثير من المعلومات في فنون كثيرة دينية وغيرها.

٥- التعود على القراءة في كتب السلف، والتعرف على أساليبهم في تآليفهم في التفسير وغيره.

وغير هذا كثير.

وجعلت هذا البحث المختصر مشتملا على:

١- أهمية علم النحو .

٢- أهمية الإعراب وحكمه.

٣- معرفة علم النحو وكذا بقية علوم اللغة العربية شرط من شروط المفسر.

٤- وجوب معرفة النحو على الفقيه والأصولي.

٥- أسماء بعض كتب التفسير تعنى عناية خاصة بعلوم اللغة عربية والنحو خاصة، وكذا كتب معاني القرآن وإعرابه .

٦- أثر العلوم الدينية على النحو.

٧- تسهيل تعلم النحو بكثرة الإعراب المرتبط بالمعنى.

٨- مسائل وقع فيها خلاف فقهي مترتب على الإعراب.

أهمية علم النحو:

لقد من الله على اللغة العربية لغة الضاد بقدسية وأهمية خاصة لمـــّا اختارها الله بأن تكون لغة القرآن الكريم لغة كلامه –سبحانه– المنزل على نبيه سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– وبهذه المنزلة العظيمة اكتسبت الخلود والبقاء؛ لارتباطها بالقرآن الخالد المحفوظ بحفظ الله قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[١]، فمهما حاول أعداء اللغة العربية من النيل منها، أو القضاء عليها، بأساليبهم المتعددة منها: ادعاء التسهيل والتيسير لصعوبتها، أو عدم ملاءمتها للعصر وللعلوم الجديدة المعاصرة، وغير ذلك ، فستبوء محاولتهم بالفشل بفضل الله وحفظه.[٢]

وقد هيأ الله علماء أجلاء لخدمة كتابه العزيز الذي لا يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد، فتنوعت الدراسات والعلوم المتفرعة عن هذا الكتاب العظيم المعجز، وتنوعت هذه العلوم وتلونت بألوان مختلفة تمثل الجوانب التي تفرعت عنها[٣]

وأول علم ظهر لخدمة هذا الكتاب العزيز المعجز علم النحو ومن بعده بقية علوم اللغة العربية التي أظهرت لنا أول إعجاز للقرآن الكريم، فقد تحدى الله به العرب بل الإنس والجن إلى قيام الساعة على أن يأتوا بمثله، والقصص التي تروى لنا في أسباب نشأة علم النحو من عهد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم –وهي معروفة لدى الجميع[٤]– وقد أجمعت كلها على أن التأليف في هذا العلم كان لأجل حل مشكلة اللحن في القرآن الكريم، ثم تتابعت علوم اللغة من معاجم، وبلاغة وفقه لغة ... الخ.

أهمية الإعراب وحكمه :

عرفنا أن أول وأَجَلّ العلوم علمُ النحو الذى هو عماد كل العلوم الأخرى التي استنبطت من القرآن الكريم، والدليل على ذلك اعتمادها على علم النحو ولذا قيل:

---

[١] سورة الحجر آية (٩).

[٢] انظر الصعقة الغضبية ٢٣٥– ٢٣٧، الإعراب الكامل للأدوات النحوية ٧ تأليف عبد القادر أحمد عبد القادر.

[٣] الإعراب الكامل للأدوات النحوية ٧ تأليف عبد القادر أحمد عبد القادر.

[٤] انظر نشأة النحو في كتب كثيرة منها : نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري ص(١٤، ١٧) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٣، أخبار النحـــويين البـــصريين للسيرافي ص(٣٥–٣٦) بتحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥م.

(النحو مفتاح العلوم) لإظهار فوائدها ومعانيها وأحكامها، لأن المعنى مترتب على الإعراب الصحيح،[١] فالمعنى والإعراب كالحلقة المفرغة لا يعلم طرفاها، كل منهما معتمد على الآخر، ومن هذه العلوم علم التفسير، وعلم الفقه، وعلم أصول الفقه، ... الخ.

ولما كان بدءُ علم النحو خدمة للقرآن الكريم، وهو من أصوله الأساسية فهما شيآن متلازمان، ولا بد لنا أن نديم الصلة فيما بيننا وبينهما، فلا نتعلم القرآن وتفسيره وفقهه بمعزل عن النحو ولا أن ندرس النحو وقواعده ومسائله بمعزل عن القرآن الكريم.

قال الطوفي في كتابه الصعقة الغضبية في تعليقه على قوله تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾[٢]: "نفى أن يأتيه الباطل نفيا عاما، واللحن باطل، فيجب أن ينتفي عنه، ويستلزم ذلك وجوب صناعة الإعراب، أما بيان كون اللحن باطلا فبالإجماع، ..."[٣]

وقال في قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا* قيما ﴾[٤] :"أي أنزله مستقيما لا عوج فيه،وقوله تعالى:﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج﴾[٥] والعوج: هو النقص وعدم الاستقامة، واللحن فيه: نقص، فمن لحن فيه فقد قرأه على عوج؛ وذلك ترك واجب، وتحصيل الواجب واجب، مهما أمكن كسائر الواجبات"[٦]

وقال الطوفي أيضا: "الإجماع منعقد على أن من لم يحصل صناعة الإعراب وعلم العربية لا يذم شرعا، ولا يتوعد بالعقاب؛ لأنا نقول نحن نعني بوجوبه الوجوب الخاص على من أراد الفتيا والقضاء، أنه فرض كفاية كسائر فروض الكفايات؛ لا أنا

---

[١] الصعقة الغضبية ٢٣٦.

[٢] سورة فصلت من آية (٤٢).

[٣] الصعقة الغضبية ٢٣٧.

[٤] سورة الكهف آية (١-٢).

[٥] سورة الزمر من آية (٢٨).

[٦] الصعقة الغضبية ٢٣٧.

نريد أنه واجب على الأعيان؛ إذ ذاك لا يدعى في علم، إلا ما قد قيل قي العبادات ومسائل الاعتقادات"[١]

من شروط المفسر معرفته العربية وعلومها وأولها النحو[٢]

علم النحو أساس كل العلوم العربية والإسلامية وتتفاوت أهميته ويتغير حكمه الشرعي لكل علم ولكل شخص يريد أن يقرأ أو يستفيد أو يتخصص في علم من العلوم، ويهمنا هنا أن نذكر حكم تعلم علم النحو لمن يتعرض للقرآن -وكذا الحديث- بالتفسير والشرح والاستنباط

قال ابن جزي: " وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته. فإنّ القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان. والنحو ينقسم إلى قسمين: أحدهما: عوامل الإعراب. وهي أحكام الكلام المركب. والآخر: التصريف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها."[٣]

ونصوص العلماء في هذا كثيرة وتكاد تكون من المسلمات.

وجوب معرفة النحو على الفقيه والأصولي:

يجب على الفقيه والأصولي أن يكون عالما بالعربية؛ لأن المصدرين الأساسيين للفقه الإسلامي هما: القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهما باللغة العربية، فلا بد لمن يريد استنباط حكم منهما أن يكون عالما بلغتهما بصيرا بأساليبها[٤]

---

[١] الصعقة الغضبية ٢٣٧.

[٢] انظر مقدمة تفسير القرطبي ١/١٨-٢١، طبع دار الشعب، القاهرة -مصر، إحياء علوم الدين للغزالي ٣/١٣٤-١٤٢، الإتقان في علوم القرآن ٢/١٧٩-١٨٠، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي -مصر- القاهرة، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠ه/١٩٥١م، مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني ٣٢٢-٤٢٥، مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ٢٩-٣٢، التفسير والمفسرون ٢٦٦-٢٧١، وانظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) بتحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود طبع دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

[٣] التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٨ لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) بتحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، طبع شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

[٤] أثر النحو في استنباط المسائل الأصولية والفقهية ، د. مصطفى محمد الفكي. مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، العدد العاشر سنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

يقول الزمخشري مدافعا عن النحو ومبينا أهميته ومتعجبا ممن يقللون من أهميته: "والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم؛ ذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية: فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بيّن لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع، ويرون أن الكلام في معظم أصول الفقه ومسائله مبني على علم الإعراب"[١]

ويقول السيوطي نقلا عن الفخر الرازي: "اعلم أن معرفة اللغة والنحو والتصريف فرض كفاية؛ لأن معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع ومعرفة الأحكام بدون أدلتها مستحيل، والأدلة راجعة إلى الكتاب والسنة، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم، توقفت الأحكام الشرعية على الأدلة، ومعرفة الأدلة تتوقف على معرفة اللغة والنحو والتصريف، وما يستوقف عليه الواجب المطلق – وهو مقدور للمكلف– واجب، إذاً معرفة اللغة والنحو والتصريف واجب"[٢]

فلا يجوز لمن لا يعرف العربية ونحوها وصرفها أن يفتي في مسائل الدين، يقول ابن حزم: "لا بد للفقيه أن يكون نحويا لغويا، وإلا فهو ناقص لا يحل له أن يفتي بجهله ..." [٣]

وأقوال العلماء–رحمهم الله– في هذا كثيرة جدا منهم: ابن خلدون[٤] والغزالي[٥].

والقصص التي تروى لأبي يوسف والكسائي –رحمهما الله– ولغيرهما الكثير– وهي معروفة–، دليل على أهمية النحو[٦]، وعلى أن من أهمل النحو سيقع في أخطاء جسيمة في الفتوى بل وفي العقيدة.

---

[١] المفصل للزمخشري ص ٢–٤ طبع مطبعة التقدم بشارع محمد علي –مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ه.

[٢] الاقتراح للسيوطي بتحقيق د. أحمد محمد قاسم ص ٧٨.

[٣] الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم بتحقيق أحمد محمد شاكر سنة ١٩٨٠.

[٤] انظر مقدمة ابن خلدون ٤٥٣، طبع دار القلم – بيروت .

[٥] انظر الموافقات للشاطبي ٤/١١٥–١١٨، طبع دار المعرفة –بيروت– لبنان.

[٦] انظر معجم الأدباء ٣/ ١٧٧، طبع دار المأمون، طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٢٧، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف الطبعة الثانية.

بعض التفاسير التي تعنى عناية خاصة بعلوم اللغة العربية عامة والنحو خاصة:

هناك تفاسير كثيرة جدا عنيت في تفسيرها بعلوم اللغة العربية وخاصة النحو والصرف، نذكر هنا بعضا منها:

تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) وحاشية الشهاب عليه، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، المحرر الوجيز لابن عطية، معالم التنزيل للبغوي، تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن)، تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، روح المعاني للألوسي، ومدارك التنزيل وحقائق للنسفي، السراج المنير للخطيب الشربيني، الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين.

وغيرها كثير بل نكاد نجزم أن كل كتب التفسير مختصرها ومبسوطها تعرضت للإعراب.

وأغلب هذه التفاسير لم يكن النحو وعلوم اللغة العربية عامة مقصودة بذاتها ولكن كانت معينة لفهم المعنى.

أما ما كان الإعراب مقصودا بذاته سواء من اقتصر عليه أو جمع بينه وبين التفسير فكتب كثيرة منها:

إعراب القرآن للنحاس، المجيد في إعراب القرآن المجيد لإبراهيم محمد الصفاقسي(٧٤٢ه)، الدر المصون للسمين الحلبي، الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب حسين بن أبي العز الهمداني (٦٤٣ه)، مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧ه)، البيان في إعراب غريب القرآن لأبي البركات بن الأنباري(٥٧٧ه)، التبيان في إعراب القرآن للعكبري(ت٦١٦ه).

وهناك كتب معاني القرآن التي جمعت بين الإعراب والمعنى منها:

مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩ه)، معاني القرآن للفراء(ت٢٠٧ه). معاني القرآن للأخفش (٢١١ه)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت٣١١ه) ، وغير هذا كثير.

أثر العلوم الدينية في النحو:

مثلما أثَّر النحو في العلوم الدينية؛ فقد تأثَّر بها في أصوله ومناهجه، وفي وضع القواعد الكلية للنحو، وقد وضع النحاة للنحو أصولاً تشبه أصول الفقه، كالسماع، والقياس، والاستصحاب، والعلل.

وقد عبَّر عن ذلك الأستاذ سعيد الأفغاني، مبيِّناً أثر مناهج العلوم الدينية على مناهج النحو، فقال: "إنَّ علماء العربية احتذوا طريق المحدثين من حيث العناية بالسند، ورجالاته، وتجريحهم، وتعديلهم، وطرق تحمُّل اللُّغة، وكانت لهم نصوصهم اللُّغوية، كما كان لأولئك نصوصهم الدينية، ثم حذوا حذو المتكلمين في تطعيم نحوهم بالفلسفة والتعليم، ثم حاكوا الفقهاء أخيراً في وضعهم للنحو أصولاً تشبه أصول الفقه، وتكلموا في الاجتهاد كما تكلم الفقهاء، وكان لهم طرازهم في بناء القواعد على السماع، والقياس، والإجماع، وذلك أثر واضح من آثار العلوم الدينية في علوم اللُّغة"[1].

تسهيل تعلم النحو بكثرة الإعراب الرابط بين الإعراب والمعنى:

ظهرت تجارب ونظريات كثيرة لتسهيل النحو، ولكن لم تكن النتائج مرضية؛ لعدة أسباب، منها : عدم الرغبة في تعلم هذا العلم لعدم وجود الدافع الحقيقي لتعلمه، سواء كان الدافع دينيا، أو غيره، بل هناك حرب على اللغة العربية من الداخل والخارج؛ لإبعاد أهلها والمسلمين عامة عن لغة القرآن الذي لا يفهم إلا بها. وقد اطلعت على قواعد بعض اللغات الأجنبية فوجدت فيها من التعقيد ما لا يوجد في اللغة العربية، وعلى ذلك فأبناؤنا –فضلا عن أصحاب تلك اللغة– يتعلمونها، ويضعون لهم المدرسين الخصوصيين لفهم هذه القواعد منذ نعومة أظفارهم.

وقد رأينا أناسا صدقت عندهم الرغبة في تعلم هذا العلم عربا وغير عرب، فأجادوا ووصلوا لمبتغاهم.

ومما جربته على فئات من الطلبة أن كثرة الإعراب يرسخ القواعد النحوية، وأن خير ما نعربه المصدر الأول الذي نشأ به هذا العلم؛ لأسباب كثيرة منها أنه قد خدم كثيرا فيسهل الرجوع إلى ما أردنا إعرابه معنى وإعرابا وغير ذلك.

---

[1] في أصول النحو: لسعيد الأفغاني، ص ١٠٤.

ارتباط الإعراب بالمعنى والعكس:

إن مما يسهل الإعراب ويثبت المعلومات والقواعد النحوية فلا تنسى مع بعد العهد، الارتباط والجمع الإعراب والمعنى الصحيح للآية أو القصة أو الموعظة أو الحكم الشرعي، وكذا العكس، فإذا عرف الإعراب سهل فهم النص ومعرفة معناه، فنستفيد بذلك فوائد متعددة :

١- الارتباط بالتراث الإسلامي وخاصة التفاسير.
٢- معرفة القصة أو الموعظة أو الحكم الفقهي.
٣- القواعد النحوية والخلافات .
٤- الدربة على تقليب الأوجه الجائزة في كل موطن بما يناسبه.

وغير ذلك.

يسمي العلماء ارتباط الإعراب بالمعنى والعكس : تجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد . ولو لم يتفق المعنى والإعراب ظاهرا، فيؤول الإعراب لصحة المعنى[١] .

ونذكر هنا بعض النماذج المعينة والموضحة لهذه الفكرة منها الارتباط بحكم فقهي أو قصة أو معنى من معاني القرآن الكثيرة، أو الارتباط بالقراءات التي تعين أيضا على فهم المعنى والإعراب.

١- ربط المعنى بالإعراب ، ومعرفة بعض مصطلحات النحو في كتب التفسير

قال الطبري – رحمه الله- في تفسير قوله عز ذكره: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)﴾ [٢]

قال أبو جعفر: يقول عزّ ذكره: (من ورائه) ، من أمام كل جَبار (جهنم) ، يَرِدُونها.

و"وراء" في هذا الموضع، يعني أمام، كما يقال: "إن الموت مِنْ ورائك"، أي قُدّامك، وكما قال الشاعر: [٣]

---

[١] انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٥٨٤/١.

[٢] سورة إبراهيم آية (١٦-١٧).

[٣] الشاعر هو جرير.

أَتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ ... كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي ... [١]

يعني: "وراء بني رياح"، قدَّام بني رياح وأمَامهم.

وكان بعض نحويِّي أهل البَصرة يقول: إنما يعني بقوله: (من ورائه) ، أي من أمامه، لأنه وراءَ ما هو فيه، كما يقول لك: "وكلّ هذا من ورائك": أي سيأتي عليك، وهو من وراء ما أنت فيه، لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك وهو من ورائه. وقال: ﴿وكان وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٢] ، من هذا المعنى، أي كان وراء ما هم فيه أمامهم.

وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: أكثر ما يجوزُ هذا في الأوقات، لأن الوقت يمرُّ عليك، فيصير خلفك إذا جزته، وكذلك (كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) ، لأنهم يجوزونه فيصير وراءهم.

وكان بعضهم يقول: هو من حروف الأضداد، يعني وراء يكون قُدَّامًا وخلفًا.[٣]

وقوله: (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) ، يقول: ويسقى من ماء، ثم بيَّن ذلك الماء جل ثناؤه وما هو، فقال: هو "صديد"، ولذلك رد "الصَّديد" في إعرابه على "الماء"،لأنه بيَانٌ[٤]عنه. [٥]

من تعدد أوجه الإعراب المحتملة الجائزة؛ للتدريب الذهني، وترتب المعاني عليها:

قال الطبري – رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿مثل اللذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾[٦] "اختلف أهل العربية في رافع (مثل) فقال بعض نحويي البصرة إنما هو كأنه قال: ومما نقصّ عليكم مثل الذين كفروا، ثم أقبل يفسر كما قال مثل الجنة، وهذا كثير، وقال بعض نحويي الكوفيين: إنما المثل للأعمال، ولكن العرب تقدم الأسماء؛ لأنها أعرف ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه ومعنى الكلام: مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد، كما قيل: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾[٧] ومعنى الكلام : ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا مسودة، قال ولو

---

[١] انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٣٣٧.

[٢] سورة الكهف آية (٧٩).

[٣] تفسير الطبري ١٣/١٣٠-١٣١.

[٤] " البيان "، هو " عطف البيان "، ويسميه الكوفيون " الترجمة " .

[٥] تفسير الطبري ١٣/١٣٠- ١٣١.

[٦] سورة يوسف من آية (١٨).

[٧] سورة الزمر من آية (٦٠).

خفض (الأعمال) جاز، كما قال: ﴿يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾[1] الآية، وقوله: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار﴾[2]، قال: فـ(تجري) هو في موضع الخبر، كأنه قال: أن تجري وأن يكون كذا وكذا، فلو أدخل (أن) جاز، ومنه "

ومن ذلك أيضا قول الطبري -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾[3] كلامٌ مبينٌ لمحاسنهم القولية معطوفٌ على ما قبله من الجُمل المبيِّنة لمحاسنهم الفعلية و(قولهم) بالنصب خبرٌ لكان واسمُها، (أن) وما بعدها في قوله تعالى ﴿إلا أن قَالُواْ﴾، والاستثناءُ مفرَّغٌ من أعم الأشياء: ما كانَ قولاً لهم عند أيِّ لقاء للعدو واقتحام مضايق الحرب وإصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والأهوال شيء من الأشياء إلاَّ أَن قالوا ﴿ربَّنَا اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي صغائرَنا ﴿وَإِسْرَافَنَا في أَمْرنَا﴾ أضافوا الذنوبَ والإسرافَ إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم وإسناداً لما أصابهم إلى أعمالهم وقدّموا الدعاءَ بمغفرتها على ما هو الأهمُّ بحسب الحال من الدعاء بقولهم ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصرنا عَلَى القوم الكافرين﴾ تقريباً له إلى حيز القَبول فإن الدعاءَ المقرونَ بالخضوع الصادرَ عن زكاء وطهارة أقربُ إلى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير أن يصدُرَ عنهم قولٌ يوهم شائبةَ الجزَع والخَوَر والتزلزُل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين مالا يخفى، وقرأ ابنُ كثير وعاصمٌ في رواية عنهما برفع (قَوْلُهُمْ) على أنه الاسمُ، والخبرُ (أن) وَمَا في حيزها، أي: ما كان قولُهم حينئذ شيئاً من الأشياء إلا هذا القول المنبئ عن أحاسن المحاسن، وهذا كما ترى أقعدُ بحسب المعنى وأوفق بمقتضى المقام لما أن الإخبارَ بكون قولهم المطلق خصوصيةَ قولهم المحكيِّ عنهم مفصلاً كما تفيده قراءتهما أكثر إفادة للسامع من الإخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولَهم لما أنَّ مصبَّ الفائدة وموقعَ البيان في الجُمل الخبرية هو الخبرُ فالأحقُّ بالخبريَّة ما هو أكثرُ إفادةً وأظهرُ دلالةً على الحدث وأوفرُ اشتمالاً على نسَب خاصة بعيدة من الوقُوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى أن ذلك ههنا في أنْ مع ما في حيِّزها أتمَّ وأكملَ وأما ما تفيدُه الإضافةُ من النسبة المطلقة الإجمالية فحيث كانتْ سهلةَ الحصول خارجاً وذهناً كان حقُّها أنْ تلاحَظَ ملاحظة جمالية وتُجعلَ عنواناً للموضوع لا مقصوداً بالذات في باب البيانِ وإنما اختار

---

[1] سورة البقرة من آية (٢١٧).

[2] سورة الرعد من آية (٣٥).

[3] سورة آل عمران من آية (١٤٧).

الجمهورُ ما اختاره لقاعدة صناعية هي أنه إذا اجتمع معرفتان فالأعراف منهما أحق بالاسمية ولاريب في أعرفية أَن قَالُواْ لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولأنه يشبه المضمرَ من حيث أنه لا يوصف ولا يوصف به وقولَهم مضافٌ إلى مضمر فهو بمنزلة العَلَم فتأمل[١]

ومن أمثلة ارتباط المعنى بالإعراب قول أبي السعود في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُواْ كُتبَ عَلَيْكُمُ الصيام كما كتب عَلَى الذين من قَبْلكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* أياما معدودات﴾[٢] انتصاب (أياما) ليس بـــ(الصيام) كما قيل؛ لوقوع الفصل بينهما بأجنبي[٣] بل بمضمر دل هو عليه أعني صوموا إما على الظرفية أو المفعولية اتساعاً، وقيل: بقوله تعالى: (كتب) على أحد الوجهين، وفيه أن الأيامَ ليست محلاً له بل للمكتوب، فلا تتحققُ الظرفيةُ ولا المفعولية المتفرِّعةُ عليها اتساعاً. [٤]

ومن أمثلة ارتباط المعنى بالإعراب قول أبي السعود في تفسير قوله تعالى: ﴿وآتوا النساء﴾[٥] أي اللاتي أُمر بنكاحهن ﴿صدقاتهن﴾ جمعُ صَدُقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدالِ على التخفيف وبضم الصادِ وسكونِ الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيلُ صُدْقة كظُلُمة في ظُلْمة ﴿نِحْلَةً﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ وابن جريج وابن زيد فريضةً من الله لأنها مما فرضه الله في النحْلة أي الملةِ والشِرْعة والديانة فانتصابُها على الحالية من الصَّدُقات أي أعطوهن مهورَهن حالَ كونِها فريضةً منه تعالى وقال الزجاجُ تديُّناً فانتصابُها على أنها مفعولٌ له أي أعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلةً أي هبةً وعطيةً من الله تعالى وتفضّلاً منه عليهن فانتصابُه على الحالية منها أيضاً وقيل عطيةً من جهة الأزواجِ من نَحَله كذا إذا أعطاه إياه ووهبَه له عن طيبةٍ من نفسه نِحْلةً ونُحْلاً والتعبير عن إيتاء المهورِ بالنِّحلة مع كونها واجبةً على الأزواج لإفادة معنى الإيتاءِ عن كمال الرضا وطيبِ الخاطرِ وانتصابُها على المصدرية لأن الإيتاءَ والنحلةَ بمعنى الإعطاءِ كأنه قيل: (وانحَلوا النساءَ صَدُقاتهن نِحْلةً) أي أعطوهن مهورَهن عن طيبةِ أنفسكم أو على الحالية من ضمير أَتوْا أي: (آتوهن صَدُقاتِهن ناحلين طيِّبي النفوسِ بالإعطاء) أو

---

[١] تفسير أبي السعود ٢/٩٦-٩٧.

[٢] سورة البقرة آية (١٨٤).

[٣] لأن (الصيام) مصدر ولا يفصل بينه وبين معموله بأجنبي.

[٤] تفسير أبي السعود ١/١٩٩.

[٥] سورة النساء آية (٤).

من الصَّدُقات أي: (منحولةً مُعطاةً عن طيبة الأنفس) فالخطابُ للأزواج، وقيل: للأولياء؛ لأنهم كانوا يأخُذون مهورَ بناتهم، وكانوا يقولون: (هنيئاً لك النافجةُ) لِمَن يولدُ له بنتٌ، يعنون تأخُذ مَهرَها، فتتفج به مالَك أي تعظّمه[1].

ومثله في ارتباط الإعراب بالمعنى أيضا قول أبي السعود في تفسير قوله تعالى: ﴿يُورَثُ﴾ على البناءِ للمفعولِ من ورِث لا من أَوْرث خبر كان أي يورث منه ﴿كلالة﴾ الكلالةُ في الأصل مصدرٌ بمعنى الكَلال وهو ذهابُ القوة من الإعياء استُعيرت للقرابة من غير جهة الوالدِ والولد لضعفها بالإضافة إلى قرابتهما وتُطلق على من لم يخلِّفْ ولداً ولا والداً وعلى مَن ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القَرابةُ على ذوي القرابة وقد جُوِّز كونُها صفةً كالهَجاجَة والفَقَاهة للأحمق فنصبُها إما على أنها مفعولٌ له أي يورثُ منه لأجل القرابةِ المذكورةِ أو على أنَّها حالٌ من ضمير يورث أي حالَ كونه ذا كلالة أو على أنها خبرٌ لكان ويورث صفةٌ لرجل أي إن كان رجلٌ موروثٌ ذا كلالة ليس له والدٌ ولا ولد وقرئ يُورِّثُ على البناء للفاعل مخففا ومشدا فانتصابُ كلالةً إما على أنَّها حالٌ من ضمير الفعلِ والمفعولُ محذوفٌ أي يورَث لأجل الكلالة[2]

٢- ربط المعنى بالإعراب والقراءات :

قال الطبري – رحمه الله– في تفسير القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد (١) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢)﴾[3] قال أبو جعفر: اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قَراء المدينة والشأم: ﴿اللهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السموات﴾ برفع اسم "الله" على الابتداء، وتصيير قوله: ﴿الذي له ما في السموات﴾: خبرَه.

وقرأته عامة قراء أهل العراق والكوفة والبصرة: (اللهِ الَّذِي) بخفض اسم الله على إتباع ذلك (العزيزِ الحميدِ) ، وهما خفضٌ، وقد اختلف أهل العربية في تأويله إذ قرئ كذلك: فذكر عن أبي عمرو بن العَلاء أنه كان يقرؤه بالخفض. ويقول: معناه: بإذن ربهم إلى صرَاط [الله] العزيز الحميدِ الذي له ما في السماوات. ويقول: هو من المؤخَّر الذي معناه التقديم، ويمثله بقول القائل: " مررتُ بالظَّريف عبد الله"، والكلام الذي يوضع مكانَ الاسم

---

[1] تفسير أبي السعود ١٤٣/٢.

[2] تفسير أبو السعود ١٥١/٢-١٥٢.

[3] سورة إبراهيم آية (٢)

النَّعْتُ، ثم يُجْعَلُ الاسمُ مكان النعت، فيتبع إعرابُه إعرابَ النعت الذي وُضع موضع الاسم، كما قال بعض الشعراء:

لَوْ كُنْتُ ذَا نَبْلٍ وَذَا شَزِيبِ ... مَا خِفْتُ شَدَّاتِ الخَبِيثِ الذِّيبِ [١]

وأما الكسائي فإنه كان يقول فيما ذكر عنه: مَنْ خفضَ أراد أن يجعلَه كلامًا واحدًا، وأتبع الخفضَ الخفضَ، وبالخفض كان يَقْرأ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي، أنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القُرّاء، معناهما واحدٌ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.[٢]

وقد يجوز أن يكون الذي قرأه بالرفع أراد مَعْنَى مَنْ خفضَ في إتباع الكلام بعضه بعضًا، ولكنه رفع لانفصاله من الآية التي قبله، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾[٣] إلى آخر الآية ثم قال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾[٤]، ومعنى قوله: ﴿الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ الله الذي يملك جميع ما في السماوات وما في الأرض.

يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعُوَ عبادي إلى عبَادة مَنْ هذه صفته، ويَدعُوا عبادَة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضرًّا ولا نفعًا من الآلهة والأوثان. [٥]

ومن أمثلة ارتباط المعنى بالإعراب والقراءات قول أبي السعود في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ﴾[٦] عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائفَ أعمالها من الخيرِ والشرِّ أو أجزيتَها محْضَرة ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ﴾ أي بين ذلك اليوم ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾ لغاية هولة، ويجوزُ أنْ

---

[١] " الشزيب " و " الشزبة "، (بفتح فسكون) ، من أسماء القوس، وهي التي ليست بجديد ولا خلق، كأنها شزب قضيبها، أي ذبل. و " الشدة "، (بفتح الشين) الحملة، يقال: " شد على العدو "، أي حمل. انظر الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/٢٤٣، بتحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة– مصر، الطبعة الثانية.

[٢] فنستفيد من هذا احترام وقبول القراءات؛ لأنها مروية بالسند الصحيح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٣] سورة التوبة آية (١١١).

[٤] سورة التوبة آية (١١٢).

[٥] تفسير الطبري ١٣/١٢٠–١٢١.

[٦] سورة آل عمران آية (٣٠).

يكون انتصابُ (يومَ) على المفعولية بإضمار: (اذكروا) [1]، و(تودّ) إما حال من (كل نفس)، أو استئنافٌ مبنيٌّ على السؤال، أي: اذكروا يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ أو شرٍّ محضراً وادّةً أن بينها وبينه أمداً بعيداً، أو كأنّ سائلاً قال حين أُمروا بذكر ذلك اليوم: فماذا يكون إذ ذاك؟ فقيل: تود لو أن بينها الخ، أو (تَجِدُ) مقصورٌ على (ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ)، و(تود) خبرُ (ما عملت من سوء)، ولا تكون (ما) شرطية؛ لارتفاع (تودُّ)، وقرئ (ودّت)، فحينئذ يجوز كونُها شرطيةً، لكن الحمل على الخبر أوقعُ معنىً؛ لأنها حكايةُ حال ماضية، وأوفقُ للقراءة المشهورة، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ﴾ تكرير لما سبق وإعادة له، لكن لا للتأكد فقط، بل لإفادة ما يفيده قوله عز وجل: ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ من أن تحذيرَه تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة أو أن رأفته بهم لا تمنعُ تحقيق ما حذَّرهموه من عقابه وأن تحذيرَه ليس مبنياً على تناسي صفة الرأفة بل هو متحققٌ مع تحققها أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم﴾[2]، فالجملة على الأول اعتراضٌ، وعلى الثاني حال، وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة[3]

٣- مسائل فقهية وقع الخلاف فيها لترتبه على المسائل النحوية[4]

لم يستخدم العلماء النحو للجوانب النظرية والقواعد العامة فقط؛ وإنما استخدموه استخداماً عملياً، فطبقوه على بعض المسائل الفقهية وغيرها التي لا تتضح دلالتها إلاَّ عن طريق التحليل النحوي .

من ذلك تحليلهم لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾[5].

ذهب الجمهور[6] إلى أنَّه لا بُدَّ في الآية من محذوف وتقديره: إذا قمتم للصلاة محدثين، ويدل على هذا المحذوف مقابلته بقوله تعالى: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾[7]، وقوله

---

[1] لم تجعل (يوم) متعلقة بـ(تجد) -كما ذهب إليه الزجاج في معاني القرآن ٣٩٧/١- مع قربها؛ لأن المعنى يأباه، فجعلت إما متعلقة بالفعل البعيد (يود)، أو بفعل مقدر (اذكروا). انظر مغني اللبيب ٦٩٩.

[2] سور الانفطار آية (٥).

[3] تفسير أبي السعود ٢٤/٢.

[4] انظر الكثير من هذه المسائل في كتاب الكوكب الدري فيما يفرع من المسائل الفقهية على الأصول النحوية للإسنوي، وكذا كتاب الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية للطوفي .

[5] سورة المائدة الآية (٦).

[6] البحر المحيط لأبي حيان ١٨٧/٤-١٨٨، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، الصعقة الغضبية ٣٧٥- ٣٩٥.

[7] سورة المائدة الآيات (٥ – ٦).

تعالى: ﴿فاغسلوا وجوهم وأيديكم إلى المرافق﴾ فـ(إلى) هنا تفيد الغاية مطلقاً، فدخول المرافق في الحكم أو خروجها منه إنَّما يتوقف على القرائن والسياق،[١]، وقيل: إنَّ (إلى) في قوله: ﴿إلى المرافق﴾ بمعنى (مع)، أي فاغسلوا أيديكم مع المرافق، كما في قوله تعالى ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾[٢]. يقول ابن رشد: "اتفق العلماء على أنَّ غسل اليدين والذراعين من فروض الوضوء لقوله تعالى: ﴿وأيديكم إلى المرافق ﴾ ، واختلفوا في إدخال المرافق فيها، فذهب الجمهور ومالك والشافعي وأبو حنيفة إلى وجوب إدخالها، وذهب أهل الظاهر وبعض متأخري المالكية والطبري إلى أنَّه لا يجب إدخالها في الحكم"[٣].

وسبب الاختلاف الاشتراك الذي في (إلى) هل هي للغاية؟ أو هي بمعنى مع؟ وكذلك اليد في كلام العرب تطلق على الكف فقط، وعلى الكف والذراع والعضد. فإذا كانت للغاية فإنَّ المرافق إنَّما دخلت بالسُّـنَّة المطهرة، فقد روى مسلم أنَّ نعيم بن عبد الله المجمر قال: ((رأيتُ أبا هريرة يتوضأ، فغسل وجهه، فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتي أشرع في العضد ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق، ثم قال: "هكذا رأيتُ رسول الله ﷺ يتوضأ))[٤].

أمَّا قوله تعالى: ﴿وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ فقد قرئ بنصب (أرجلكم) وبجرها وبرفعها[٥]، أمَّا النصب فهو قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص، فـ(أرجلكم) معطوفة على الوجوه والأيدي، وذلك جائز بلا خلاف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر: (وأرجلِكم) بالخفض، وهذه القراءة مشكلة إذ إنَّ ظاهرها يدلُّ على أنَّ الرجلين تمسحان، وهذا بخلاف السُّـنَّة الصحيحة، فقد وردت الأحاديث الشريفة بغسل الرجلين[٦] روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنَّ رسول الله ﷺ رأى قوماً وأعقابهم تلوح، فقال: ((ويلٌ للأعقاب من النار))[٧] وللخروج من هذا الإشكال قال العلماء: إنَّ الجر

---

[١] الكشاف للزمخشري ٥٩٦/١-٥٩٧، دار الفكر.

[٢] سورة هود الآية (٥٢).

[٣] بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، تحقيق عبد المجيد طه، دار المعرفة، بيـروت، ط/١، ١٩٩٧م، ٣٦/١

[٤] صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووي ١٢٨/٣ المطبعة المصرية

[٥] البحر المحيط، ١٩٢/٤.

[٦] صحيح الإمام البخاري ١/ ٤٩ ح ١٨٦ طبع المكتبة الإسلامية –تركيا– اسطنبول.

[٧] سنن أبي داود ٧٣/١ ح ٩٧، طبع دار الدعوة – تركيا– اسطنبول.

في هذه القراءة ليس للعطف، وإنَّما هو للمجاورة[١]، وقد نص سيبويه على الجر بالجوار، فقال: "وقد حملهم قرب الجوار أنْ جروا (جُحْرُ ضَبٍّ خرِبٍ)[٢] ونحوه..."[٣].

أمَّا قراءة الرفع فهي قراءة الحسن، وهي شاذة، وخرجت على أنَّ أرجلكم مبتدأ وخبره محذوف تقديره: وأرجلكم مغسولة.

أمَّا قوله تعالى﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ قال الزمخشري: "المراد إلصاق المسح بالرأس، وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه، وقد أخذ الإمام مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب، أو أكثره على اختلاف الرواية، وأخذ الإمام الشافعي باليقين، فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح، وأخذ الإمام أبو حنيفة ببيان رسول الله ﷺ وهو ما رُوِيَ: (أنَّه مسح على ناصيته)، وقدَّر الناصية بربع الرأس"[٤].

وهذا الاختلاف مترتب على معنى "الباء" هل هي للإلصاق؟ أو هي زائدة؟ فيلزم بذلك مسح جميع الرأس، أم هل هي للتبعيض فيجزئ مسح بعض الرأس؟ والقول بأنَّ الباء من معانيها التبعيض هو قول الكوفيين، والأصمعي، وأبي علي الفارسي، وقال به ابن قتيبة وابن مالك[٥]، وله شواهد كثيرة من ذلك قوله تعالى: ﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾[٦]، أي منها.

أمَّا قوله تعالى: ﴿إلى الكعبين﴾ فالكلام فيها مثلما سبق في (إلى المرفقين)، فإنْ كانت (إلى) بمعنى (مع) فالمعنى واضح، وإنْ كانت "إلى" للغاية" فإنَّ السُّـنَّة هي التي أوضحت وجوب غسل الرجلين إلى الكعبين ــ كما تقدَّم ــ"[٧].

وإذا نظرنا إلى حرف الجر (من) في قوله تعالى: ﴿فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾[٨]، فهي محتملة أن تكون للتبعيض، فيتعين التيمم بالتراب الذي له

---

[١] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين الشنقيطي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٦م، ٢٥٩/١. وانظر تفسير البيضاوي ٣٠١/٢

[٢] معاني القرآن للفراء ٧٤/٢.

[٣] كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ٦٧/١.

[٤] الكشاف: للزمخشري، ٥٩٦/١.

[٥] الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص ٤٣-٤٤، تحقيق فخر الدين ومحمد نديم، بيروت، ١٩٨٣م.

[٦] سورة الإنسان الآية (٦).

[٧] أضواء البيان: للشنقيطي، ٢٧٥/١.

[٨] سورة المائدة الآية (٣).

غبار يعلق باليد، ويحتمل أنْ تكون لابتداء الغاية، فيكون بدء المسح من الصعيد الطيب، فلا يتعين ما له غبار، وبالأول قال الشافعي وأحمد، وبالثاني قال مالك وأبو حنيفة[١] رحمهم الله جميعا.

وهناك مسائل فقهية كثيرة تخرَّج على القواعد النحوية قد أورد الفقهاء كثيراً منها، فابن القيم يورد صوراً لدخول الشرط في الحلف بالطلاق[٢]، ومن قبله الإمام الإسنوي الشافعي[٣] ، ونقل ابن يعيش عن كتاب الإيمان لمحمد بن الحسن الشيباني بعض المسائل الفقهية المبنية على أصول نحوية[٤]. وهناك بعض مسائل في الاستثناء ذكرها الفاكهي[٥]، وغير هذا كثير.

وقد اهتم الأصوليون والفقهاء بالاستثناء، وخصصوا له العديد من المباحث[٦] ووضعوا له شروطا فذكروا:

الشرط الأول: أنْ يكون المستثنى متصلاً في كلام واحد غير منقطع لفظاً إلاَّ انقطاعاً لتنفس أو تعب مثلاً مما لا يُعَدُّ فاصلاً بين أجزاء الكلام.

الشرط الثاني: أنْ يكون الاستثناء غير مستغرق، وإلا فلا يصح، فلا يقال: قام القوم إلاَّ القوم. ويجوز الاستثناء إذا كان المستثنى أقل مما بقي من المستثنى منه، نحو: قام القوم إلاَّ محمداً.

واختلفوا فيما إذا كان المستثنى أكثر من النصف ، فمنع ذلك بعض النحاة منهم الزجاج، و بهذا قال الحنابلة ، أما الشافعية فقالوا : الصحيح جواز ذلك، مثل أنْ تقول: عندي له عشرة دراهم إلاَّ تسعة، فيكون له درهم واحد، وقد احتج من يجيز ذلك بقوله تعالى : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾[٧]. ومن المعلوم أن الغاوين المتبعين للشيطان هم الأكثر بدليل قول تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[٨]،

---

[١] أضواء البيان للشنقيطي ٢٧٥/١.

[٢] بدائع الفوائد لابن القيم ٢٤٥/٣، دار الكتب، بيروت.

[٣] كل كتابه (الكوكب الدري فيما يتفرع من المسائل الفقهية على الأصول النحوية) مبني على النحو.

[٤] شرح المفصل لابن يعيش١٤/١، عالم الكتب، بيروت.

[٥] كتاب شرح الحدود للفاكهي ص ٢٤٠، تحقيق د. المتولي رمضان، ١٩٨٨م.

[٦] إرشاد الفحول: للشوكاني، ص ٣٦٣ وما بعدها

[٧] سورة الحجر الآية (٤٢)

[٨] سورة سبأ الآية (٣٠)

وقوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[1]، ومما يدل على صحة استثناء أكثر من النصف أيضاً ما ثبت في الحديث النبوي من الحديث القدسي الذي رواه أبو بكر الصديق –رضي الله عنه–: ((يا عبادي كلكم جائع إلاَّ من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلاَّ من كسوته، فاستكسوني أكسكم))[2]. وقد أطعم سبحانه وتعالى وكسا الأكثر من عباده بلا شك.

الشرط الثالث: ألا يكون هناك عطف قبل إلاَّ مثل: عندي له عشرة دراهم وإلاَّ درهماً أو فإلاَّ درهماً، وما كان بعطف فهو لغو.

هذا ويمكن اختصار النصوص أو التوسع فيها، وكذا تقسم هذا النوع من الدراسة إلى مستويات بحسب مستوى الطلاب المراد تدريسهم هذه المعلومات.

والله أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

---

[1] سورة يوسف الآية (١٠٣).

[2] صحيح الإمام مسلم رقم الحديث ٢٥٧٧.

ثبت المراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر– القاهرة، الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٠ه/١٩٥١م.

٢- أثر النحو في استنباط المسائل الأصولية والفقهية ، د. مصطفى محمد الفكي. مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، العدد العاشر سنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣- الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم بتحقيق أحمد محمد شاكر سنة ١٩٨٠م.

٤- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، طبع مطبعة لجنة الثقافة الإسلامية، سنة ١٣٥٦ه.

٥- أخبار النحويين البصريين للسيرافي بتحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥م.

٦- إرشاد الفحول للشوكاني بتحقيق أحمد عزوز، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٠م.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين الشنقيطي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٦م.

٨- الإعراب الكامل للأدوات النحوية تأليف عبد القادر أحمد عبد القادر، طبع دار قتيبة – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ه–١٩٨٨م.

٩- الاقتراح للسيوطي بتحقيق د. أحمد محمد قاسم، الطبعة الأولى بمطبعة السعادة– مصر– سنة ١٣٩٦ه.

١٠- البحر المحيط: لأبي حيان، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م

١١- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، تحقيق عبد المجيد طه، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧م.

١٢- بدائع الفوائد: لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان.

١٣- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) بتحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، طبع شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

١٤- تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، طبع دار الكتب العربية سنة ١٣٣٠ه.

١٥- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) طبع دار المعرفة – لبنان- بيروت سنة ١٤٠٠ه- ١٩٨٠م.
١٦- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي طبع دار الكتب الحديثة –مصر – القاهرة- الطبعة الثانية سنة ١٣٩٦ه- ١٩٧٦م.
١٧- الجنى الداني في حروف المعاني: للمرادي، تحقيق فخر الدين ومحمد نديم، بيروت، ١٩٨٣م.
١٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) بتحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود طبع دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
١٩- سنن أبي داود طبع دار الدعوة –تركيا- اسطنبول.
٢٠- شرح المفصل: لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
٢١- صحيح البخاري طبع المكتبة الإسلامية –تركيا- اسطنبول.
٢٢- صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووي، طبع المطابع المصرية ومكتباتها.
٢٣- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية للطوفي ، بتحقيق د. محمد بن خالد الفاضل، طبع مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ه/١٩٩٧م.
٢٤- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٢٧، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف الطبعة الثانية.
٢٥- الفائق في غريب الحديث للزمخشري، بتحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة- مصر، الطبعة الثانية.
٢٦- في أصول النحو لسعيد الأفغاني، طبع المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان- سنة ١٩٨٧م.
٢٧- كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون.
٢٨- كتاب شرح الحدود: للفاكهي، تحقيق د. المتولي رمضان، طبع سنة ١٩٨٨م.
٢٩- الكشاف للزمخشري، دار الفكر- لبنان- بيروت.
٣٠- الكوكب الدري فيما يتفرع من المسائل الفقهية على الأصول النحوية للإسنوي،
٣١- مجاز القرآن لأبي عبيدة ، بتحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، طبع مكتبة الخانجي – مصر سنة ١٩٨٨م.

٣٢- معاني القرآن للفراء بتحقيق الاستاذ محمد علي النجار، طبع الدار المصرية، مطابع سجل العرب- القاهرة.
٣٣- معجم الأدباء . طبع دار المأمون.
٣٤- المفصل في علم العربية للزمخشري، طبع مطبعة التقدم بشارع محمد علي – مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ه.
٣٥- مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني، طبع المطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩ه .
٣٦- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، طبع مطبعة الترقي -دمشق – سوريا- سنة ١٩٣٩م.
٣٧- مقدمة ابن خلدون ، طبع دار القلم – بيروت .
٣٨- تفسير الإمام القرطبي ، طبع دار الشعب -مصر – القاهرة.
٣٩- الموافقات للشاطبي، طبع دار المعرفة -بيروت- لبنان.
٤٠- نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٣.
٤١- وفيات الأعيان أنباء ابناء الزمان لابن خلكان بتحقيق الدكتور إحسان عباس، طبع دار صادر – بيروت – لبنان سنة ١٣٩٨ه/١٩٧٨م.